الهزيمة النفسية

بحمد الله كانت المعنوياتُ عندي سماويةً منذ انطلاق اللحظة الأولى للمعركة، رغم أنَّي طُحنتُ بالبلاء، وعضَّني الجوع، وانتابني التعب في أحوالٍ كثيرة، وذات يوم جلستُ مع بعض الأشخاص الذين غلبهم القهر فغطَّى على معنوياتهم، وصارت نفوسهم هشة، فإنْ جاورتَهم أصابك شيءٌ من هشاشة نفوسهم رغماً عنك، فصدر منهم شيءٌ من لحن القول، وكان فحوى كلامهم: «أنَّ الضَّراء التي نحن فيها سببها سوء تقدير من قادة الجهاد، وكان يجب أن نتأنى، وكان يجب ألا نفعل»!!.

كان الكلام مُحزناً، فتألَّمتُ لأني لم أستطع أن أُنقذ نفسي من بعض غُبار كلامهم المهزوم، فاستخرتُ الله وعزمتُ على ترك المكان، والذهاب لمكانٍ آخر أناجي فيه ربي، وأصحب الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم، فشعارُ المرحلة: تحدٍ مع نفسك أن تخرج من هذه الجولة بهمةٍ أعلى من السابق.

وبعد الخلوة والتفكُّر علمتُ أن إيثار السلامة والأمان والاستقرار الأمني والاقتصادي هو طريقٌ إلى النار، (حُفَّت النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ)[1]، وعلمتُ أنَّ مصلحة الجهاد أُخروية في الغالب، وربَّما لا نجني شيئاً من ثمارها في الدنيا، وأنَّ ضريبة الدماء أهون بكثير من حياة الذل والانسحاق[2].

إنَّ الله قد نهانا عن مجالسة من يُضعف ديننا ويبثُّ الشك في إيماننا، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء:140]، وإنْ كنتَ لا بُدَّ مُجالساً فلا تغترَّ بكلامهم، ففي أوقات الفتنة والمُلِمات يُؤخذُ بمشورة العلماء

(1) أخرجه البخاري، حديث رقم 6487، وأحمد حديث رقم 7530، واللفظ له، ولفظ البخاري: (حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ).
(2) ينظر فيما سيأتي عنوان: القرآن يدير المعركة.